أوراق سرية من (حملة النيل) ١٨٨٢

د. عبد الوهاب بكر

أستاذ التاريخ الحديث

بكلية الآداب - جامعة الزقازيق

أوراق سرية من (حملة النيل) ١٨٨٢(*)

أكدت الدروس المستفادة من الحروب التى نشبت فى القارة الأوروبية وغيرها خلال سنوات القرن التاسع عشر أن المعارك لا تكسب ولا يحسمها حشد الجيوش فقط، وإنما هناك (عمليات) وراء ذلك لابد من إنجازها ، فمعارك (القرم) و(الحرب السبعينية) بين بروسيا وفرنسا - أعطت إنذارا لجنرالات الأركان العامة فى أوروبا ، ومخططى السياسة مؤداه أن التحركات السريعة للجيوش تستلزم الحصول على (معلومات) مؤكدة حتى يمكن إجهاض هذه التحركات .

ثم جاءت (حملة النيل ١٨٨٢) لتؤكد صدق هذه التحسبات.

لقد اكتشف خبراء الحروب فى كل من (بريطانيا) و(ألمانيا) و(إمبراطورية النمسا والمجر) و(فرنسا) و(روسيا القيصرية) أن الحصول على معلومات مسبقة عن خطط الطرف الآخر سواء العسكرية منها أو السياسية - إلى جانب خطوط مواصلاته ومخزونه الإستراتيجى من المواد الاقتصادية والخامات والغذاء تعد أهم من المعارك ذاتها .

وفى السنوات التى تلت سبعينيات القرن التاسع عشر تسبب (أوتوفون بسمارك) Otto Von Bismark مستشار الإمبراطورية الألمانية بسياسته التسلحية ، وسلامه المسلح ، وتحالفاته الثنائية والثلاثية مع روسيا ، وألمانيا ، وإمبراطورية النمسا والمجر - أقول تسبب فى دخول دول أوروبا فى سباق محموم من أجل الحصول على المعلومات عن خطط الطرف الآخر ومشروعاته .

وهكذا لم يكد النصف الثانى من القرن التاسع عشر يصل الى نهاية سبعينياته حتى كانت كلمة (Intelligence) قد أصبحت مجال التنافس بين هذه الدول ، وحل مصطلح الخدمة السرية (Secret Service) محل مصطلح العمليات (Operations).

---

* الاسم الرسمى لحملة بريطانيا على مصر فى ١٨٨٢ لإخماد الثورة العرابية (Nile Campaign)

كانت الجامعات هذه المرة هى مصدر الإمداد بالعنصر البشرى اللازم لهذا النوع من الأعمال ، فالمواصفات المطلوبة فى رجل جمع المعلومات مواصفات علمية وعقلية دقيقة تستلزم من حائزها أن يكون على مستوى ثقافى رفيع .

لذلك فإن الدول الأوروبية اتجهت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى (الجامعات) لتخريج الجواسيس ، وتحولت هذه الجامعات فى تلك الفترة إلى مراكز تعاون للخدمة السرية لتخريج العقول المفكرة التى تلتحق بالجيوش وأجهزة مخابراتها لجمع المعلومات تحت غطاء العلم .

ولعل هذا يفسر احتواء الوثائق التاريخية فى نهايات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على أسماء أولئك الباحثين الأمناء المنقبين فى الخرائب الأثرية ، والأثريين، وأطباء التشريح، والجيولوجيين، والمستشرقين، الذين يقيمون معسكرات البحث فى بلاد المشرق ويلبثون سنوات يحفرون ويجمعون ويصورون ويرسمون الخرائط للأماكن الغريبة والنائية ويسجلون ما تراه الأعين وما تسمعه الآذان .

لكن أحدا فى ذلك الوقت لم يكن يلحظ أن هؤلاء (العلماء) يستهويهم إقامة معسكراتهم العلمية على مقربة من خطوط السكك الحديدية وتقاطعات الطرق والقناطر حديثة التشييد .

ويرتبط هذا النوع من النشاط الذى انتشر فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين بأسماء (دافيد جورج هوجارث) David George Hogarth خريج كلية وينشستر وكلية مودلين Magdalin بجامعة أوكسفورد، وزميل (دافيد مارجوليوث) David Margolioth أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة أوكسفورد . ودانيسون روس Denison Ross رئيس مدرسة الدراسات الشرقية فى لندن والمستشار الخاص لمدير المخابرات الحربية البريطانية .

وقد جند (روس) جرترودبل Gertrude Bell خريجة كلية مارجريت هول بجامعة أوكسفورد، عندما توسم فيها الصلاحية للعمل التجسسى لصالح المخابرات الحربية البريطانية.

وكانت (بل) تغطى نشاطها بالعمل فى الحفريات والآثار القديمة التى تخصصت فيها. ومن بين الذين كانوا يجوسون فى آسيا الصغرى لمساعدة الدور البريطانى فى البلاد العربية فالنتين إغناطيوس شيرول Valentine Ignatius Chirol المشهور بفالنتين شيرول الذى بدأ حياته كاتبا فى وزارة الخارجية البريطانية عام ١٨٧٢ ، ثم عمل بعد ذلك كقنصل بريطانى فى برلين ، وتجول كجاسوس فى تركيا الآسيوية ومصر وفارس والهند .

وتزخر الوثائق البريطانية بأسماء أساتذة الجامعات البريطانية الذين اشتغلوا بالتخابر لصالح بلادهم وجيوشها ، لكن مايخص مصر فى هذا المقام هو شخصية البروفيسور (بالمر) E.H.Palmer الأستاذ بالجامعات البريطانية الذى اشتغل بالتخابر لصالح بلاده (بريطانيا) خلال فترة الثورة العرابية (١٨٨١ - ١٨٨٢) والذى قتل فى صحراء سيناء خلال معارك عرابى ضد الإنجليز ، وتبين أنه كان مكلفا بشراء البدو هناك لتخريب الخطوط التلغرافية ، وكان يحمل معه لدى مقتله ثلاثين ألفا من الجنيهات الذهبية، كما كان يرافقه فى مهمته ضابطين من جهاز المخابرات البريطانية هما جيل Gill وشارنجتون Charrington اللذين قتلا معه[١] .

ما يعنينا فى هذا المقام أن نركز على الترتيبات البريطانية السابقة على نزول قواتها فى الأرض المصرية لتبدأ (حملة النيل) فى يوليو ١٨٨٢ .

وفحص الترتيبات البريطانية هذه وعرضها يؤكد وجهة النظر القائلة بأن نية بريطانيا كانت متجهة إلى احتلال مصر منذ ما قبل الثورة العرابية بزمن طويل ، وأن إعادة النظام والاستقرار والسلطة الشرعية فى البلاد لم تكن سوى ذريعة لتبرير التدخل العسكرى. هذا كله ليس بجديد ، فقضية نوايا بريطانيا تجاه احتلال مصر قضية معروفة وسبق أن خاض فيها وفى تقديم الأدلة على صحتها الكثيرون ، ونحن لا نقدم فيها جديدا ولكن، لدينا من الوثائق عن حقيقة هذه الترتيبات وكيف أن الإعداد لحملة النيل بدأ قبل عام ١٨٨٢ بسنوات طوال كانت بريطانيا خلالها ومن خلال جواسيسها ورجال مخابراتها ،

تفحص وتنقب وتدقق حتى كانت مع بداية الحملة على علم بكل صغيرة وكبيرة فى البلاد .

فى يوليو عام ١٨٨٢ صدر كتاب سرى بعنوان Report on Egypt عن فرع المخابرات التابع لإدارة رئاسة الجيش البريطانى بوزارة الحربية The Intelligence Branch, Quarter Master - General's Department ومن المهم فى هذا المقام وقبل الخوض فى تفاصيل الكتاب ، وهو موضوع دراستنا أن أقدم نبذة عن جهاز التخابر فى بريطانيا فى القرن التاسع عشر ، فهو قصة هذا الكتاب، أو هو قصة هذه الدراسة . فى ثمانينيات القرن التاسع عشر ظهر مسمى المخابرات الحربية Military Intelligence لأول مرة فى تاريخ الجيش البريطانى . ويقترن هذا المسمى بأسماء المؤسسين لهذا الجهاز من رجالات بريطانيا فى ذلك الوقت (لورد نورثبروك) Lord Northbrook نائب الملك السابق فى الهند، (الجنرال براكنبرى) General Brackenbury ضابط المخابرات فى (حملة النيل) على مصر عام ١٨٨٢، (الكولونيل سير جون آرداج) John Ardage ، (كابتن هوزير) Hosier والد زوجة السياسى الشهير ونستون تشرشل Winston Churchil ، (الملازم ايفلين بارنج) Evelin Baring من المدفعية الملكية (لورد كرومر) Cromer فيما بعد ، و (سير ويليام نيكولدسون) William Nicoldson رئيس أركان الجيش الهندى .

كان هؤلاء الرجال هم الذين يكافحون فى تلك الفترة من القرن الماضى ليلاحقوا طفرة التطور والتحديث التى لحقت بالجيش البروسى فى أعقاب الحرب السبعينية وظهور بروسيا كدولة متفوقة على يد أوتو فون بسمارك Otto Von Bismark وكان هؤلاء هم من كانت الصحف البريطانية تشير اليهم بـ (رؤساء الخدمة السرية)(٢).

وعلى أيدى هؤلاء وعلى رأسهم (أرنولد فورستر) Arnold Forster وزير الحربية تم تصميم جهاز المخابرات فى بريطانيا بانشاء سلسلة من القيادات الجديدة المستقلة تماما عن أفرع (إدارة الجيش) Quarter Mastergeneral ، و(إدارة العمليات) التى كانت تدير هذا العمل منذ ١٨٥٣ وقت حرب القرم Crimean War (١٨٥٣ - ١٨٥٦).

رأس هذه المجموعات الماجور جنرال جريرسون Grierson تحت مسمى (مدير العمليات الحربية) DMO ، وقسمت أفرع إدارته إلى الأفرع الأربعة التالية :

MO 1 وتختص بالاستراتيجية وخطط الحرب.

MO 2 وتختص بالمخابرات الأجنبية فى أوروبا ، الإمبراطورية العثمانية ، إمبراطورية النمسا والمجر ، وأثيوبيا .

MO 3 واختصت بمناطق فارس والهند وآسيا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا القيصرية.

MO 4 وتولت أعمال الطبوغرافية (المساحة العسكرية) ورسم الخرائط.

وفيما بعد أنشئ فرع خامس هو MO 5 للتجسس المضاد (أو مكافحة التجسس)، والأمن التجسسى والمهام الخاصة - ومن هنا جاء مصطلح (الطابور الخامس) فى الكتابات العربية للإشارة إلى عمليات التجسس والتخريب خلف خطوط العدو،كما أنشئ فرع MO6 ويضم عمليات الضباط الأطباء الذين يعملون فى مهام أجنبية (٣) ، وفيما بعد أيضا أسند إلى حكومة الهند الإشراف على أعمال المخابرات فيما يتعلق بشبه الجزيرة العربية جنوب خط يمتد من العقبة إلى البصرة مع استبعاد عسير والحجاز واليمن بينما بقيت شبه الجزيرة العربية وسوريا وبين النهرين تحت إشراف M O 2.

والذى أعد فى نهايات القرن التاسع عشر ليحل محل تقرير سابق كان يسمى (تقرير حربى عن الجزيرة العربية) Military Report on Arabia ، لعله كان باكورة أعمال جهاز المخابرات الجديد .

كان قوام جهاز المخابرات البريطانى الذى اختص بمنطقة الشرق الأوسط ومن بينها مصر مجموعة من رجال أركان حرب الأميرالية Admiralty Staff Officers، الملحق الحربى البريطانى فى القسطنطينية الكولونيل فرانسيس ماونسل Colonel Francis Maunsell، ومجموعة الشبان الذين كانوا يشكلون جزءا من مدرسة التخابر السابق الإشارة إليها فى مقدمة

هذه الورقة، والذين كانوا يسمون فى ذلك الوقت بالملحقين الشرفيين Honorary Attachés الذين كانوا يعملون فى السفارات البريطانية بالخارج والذين تميز منهم فيما بعد Mark Sykes صاحب اتفاقية سايكس - بيكو الشهيرة خلال العقد الثانى من القرن العشرين، وأوبرى هربرت Aubrey Herbert وجورج لويد George Lloyd الذين غطت رحلاتهم التجسسية بلاد كردستان وسوريا وبين النهرين .

لكن (ماونسل) كان له عملائه الذين كانوا يتجولون فى بلاد الأناضول وكردستان فى نهايات القرن التاسع عشر أمثال الكولونيل ماسى P .H.H. Massy وهارى بيرى جوردون Harry Pirie Gordon والكابتن سميث من المهندسين الملكيين. وهكذا فإنه خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر كانت فنادق سوريا وبين النهرين وفارس تعج بنوعيات متباينة من الرجال: ضباط من أركان الحرب البريطانية والهندية، مهندسى سكك حديدية ، أثريين، جامعى حشرات، مراقبى طيور يرتدون أشكالا مختلفة من الزى، هذا بقبعة أستاذ جامعى، وذاك بزى عسكرى ، وثالث بكوفية وعقال (أمثال بالمر قتيل الصحراء الشرقية فى ١٨٨٢ الذى كان يمارس مهمته التخابرية لشراء البدو وتكليفهم بتخريب الخطوط البرقية بين شرقى القناة وغربها) ، وتوماس إدوارد لورانس Lawrence Thomas Edward (فيما بعد).

هكذا امتلأت منطقة الشرق الأوسط خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين بعملاء جهاز التخابر البريطانى - والأوروبى أيضا - يجمعون المعلومات ويلتقطون الصور ويسجلون الأنباء .

فيما يخص مصر من هذه الدراسة فإن القصة تبدأ عندى من حملة فريزر Fraser فى مارس ١٨٠٧ عندما أرادت بريطانيا أن تصيب فرنسا بضربة سياسية ظاهرها إيذاء الدولة العثمانية وإعادة المماليك إلى السلطة فى مصر بالقوة .

ولقد كانت الهزيمة الساحقة التى أصيبت بها بريطانيا فى هذه الحملة وتعمد محمد على (١٨٠٥ - ١٨٤٨) إهانتها فى شكل طابور أسراها الذين مررهم فى الطريق إلى

الأزبكية الذى صف على جانبيه رؤوس قتلاها مثبتة على حراب ، وقد كانوا ٤٩٠ قتيلا. كانت هذه الهزيمة وما تلاها من أحداث تتعلق بنمو قوة محمد على ووضعه فى المنطقة، بعض أسباب بريطانيا لاحتلال مصر فيما بعد (٤) .

وإذا كان الكثيرون لا يعرفون عن قضية إحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ (حملة النيل Nile Campaign) سوى تلك المعلومات المتناثرة عن نية بريطانيا المسبقة فى إحتلال مصر قبل ذلك التاريخ بوقت ما، فإن هذا الكتاب السرى من أوراق حملة النيل يكشف عن قضايا فى غاية الأهمية تتعلق - إلى جانب عمليات التجسس والتخابر قبل الحملة على ما ستقدمه فصول الكتاب - بترتيبات غزو مصر قبل حملة النيل بزمن غير قليل ، وفى عصر الوالى محمد سعيد على وجه التحديد، وهو ما يعد كشفا جديدا للعلاقات المصرية البريطانية خلال القرن التاسع عشر، لا يعلم عنه أحد شيئا.

يقع الكتاب الذى تتصدره عبارة (سرى) Confidential فى أحد عشر فصلا من ٤٧٠ صفحة .

جاء الفصل الأول وعنوانه (تاريخ) متضمنا خمسة عناصر أساسية هى :

أ- إسكتش تاريخى لمصر حتى نزول القوات الفرنسية بها فى ١٧٩٨.

ب - قصة الحملة الفرنسية على مصر من ١٧٩٨ إلى ١٨٠٠.

ج - قصة العمليات البريطانية والفرنسية فى ١٨٠١.

د - قصة الحملة البريطانية إلى مصر فى ١٨٠٧.

هـ - إسكتش تاريخى لمصر من عصر محمد على .

تناول الفصل الثانى وعنوانه (ملاحظة جغرافية ، السكان ، الحكومة ، المناخ) جغرافية مصر ، المظاهر الطبوغرافية والجيولوجية ، السكان ، الحكومة والإدارة ، المناخ - مع التركيز على (البدو) و(الأقباط) و (الديانة الإسلامية).

فى الفصل الثالث وعنوانه (المالية ، الزراعة ، الصناعة والتجارة ، النقود والأوزان والمقاييس والتقويم والنقل) جرى مناقشة ميزانية مصر فى عام ١٨٨٢ ، إيرادات مصر ، الدين المضمون ، الضرائب ، الدين ، النسيج ، الأعمال المعدنية ، الورق ، الطحن والمخابز، محالج القطن .

ويتحدث الفصل الرابع وعنوانه (المدن والموانىء) عن محافظات مصر الإحدى عشر فى وقت كتابة هذا التقرير وهى (القاهرة - القناطر - الإسكندرية - رشيد - دمياط- بورسعيد - العريش - الإسماعيلية- السويس - سواكن - مصوع) ، ويذكر تعداد سكانها. ثم يذكر التقرير المدن الرئيسية فى مصر وعددها (١٨) فى مصر السفلى و (٧) فى مصر الوسطى و (١٢) فى مصر العليا ، ويتحدث عن السكان والمناخ ونظام الإدارة، وحركة السفن فيما يتعلق بالاسكندرية وحجم التجارة فى الموانىء المصرية .

ويبدو من المعلومات الواردة فى التقرير فى هذا الصدد أنه اعتمد سنة ١٨٧٩ معيارا لرصد المعلومات عن مصر ، ففى كل مناسبة يذكر ذلك العام عند ذكر أى معلومة عن المالية أو حركة التجارة أو شكل الحكومة .

خصص التقرير الفصل الخامس للحديث عن (النيل والترع) فوصف النيل وفيضانه ومياهه والملاحة فيه ، والقناطر المقامة عليه ، ونظام القنوات فى مصر ونظم الرى فى سبعينيات القرن التاسع عشر .

أما الفصل السادس فقد خصصه التقرير للحديث عن (قناة السويس) ، وفيه أفاض فى الحديث عن الوصف العام للقناة ، تربتها ، ضفتيها ، طولها - انحناءاتها ، فناراتها ، خطوط البرق ، محطات الإشارات ، مراقبة القناة ، نظام الملاحة فيها، الكبارى والعائمات، الأعمال المائية، المد والجزر، القطاعات، العرض والطول والأعماق، علامات الإرشاد، الرفاصات وسفن القطر والناقلات والكراكات .

فى الوصف الحالى للقناة اعتمد التقرير على تقرير لضابط يدعى توللوش Tulloch كتبه فى ١٨٨٢ ، وكتاب الأميرالية البريطانية Red Sea Pilot وكتاب

Murray's Handbook of Egypt الصادر فى لندن عام ١٨٨٠ ، وتقرير للكابتن Richards واللفتنانت كولونيل كلارك Clarke سبق إعداده فى عام ١٨٧٠ .

وقد ركزت هذه التقارير على وصف القناة من (بور سعيد إلى القنطرة)، (القنطرة إلى الإسماعيلية)، (مقطع الجسر) قرب الفردان (بحيرة التمساح إلى طوسون)، (طوسون إلى سرابيوم)، (البحيرات المرة)، (الشلوفة)، (سهل السويس) . وتتحدث هذه التقارير عن ضفتى القناة فى هذه المناطق ، الأجزاء الرخوة والرملية من هذه الضفاف .

وعن حركة الملاحة فى القنال خلال الفترة ١٨٧٠ - ١٨٧٩ اعتمد التقرير على الجداول الرسمية المطبوعة فى مصر تحت عنوان (Statistique de la Navigation pour le Canal de Suez,1880) ، وعلى مجلة تصدر عن شركة قناة السويس بعنوان (Le Canal de Suez ,Bulletin decadaire)

على أن أهم ما يلفت النظر فى خلاصة هذه التقارير هو ما أثبته تقريرنا من أن نسبة السفن الإنجليزية التى عبرت القناة فى عام ١٨٧٩ كانت ٧٧ر٤٪ زادت فى ١٨٨٠ إلى ٧٨ر٥٪ ووصلت فى عام ١٨٨١ إلى ٨٢ر٥ ٪، ويعلق التقرير بقوله (وهكذا فإنه يتضح من هذه الإحصائيات القيمة المتزايدة للقناة للمصالح البريطانية - وهو أمر سيتضح مغزاه من مجرى الحوادث بعد ذلك).

يرافق هذه المعلومات فى التقرير موضوع الدراسة خريطة مطبوعة على الليثوجراف Lithography (طبع حجر) فى إدارة المخابرات .Intelligence Dept بوزارة الحربية البريطانية فى يونيو ١٨٨٢ توضح قطاعات قناة المياه العذبة بين القاهرة والإسماعيلية. يبين القطاع الأول منها المسافة من القاهرة إلى سرياقوس وهى (١١ ميلا) ، ويبين القطاع الثانى المسافة من سرياقوس إلى بلبيس وهى (٢٣ميلا) ، ويبين القطاع الثالث المسافة شمال بلبيس وهى (١١ميلا)، كما يبين القطاع الرابع المسافة شمال بلبيس أيضا لمسافة ميلين ، أما القطاع الخامس فهو يبين المسافة بين (الوادى) والقصاصين وهى مسافة تبلغ

خمسة أميال وواضح من هذه الخريطة أنها تبين أماكن المياه العذبة فى المسافة الواقعة بين القصاصين والقاهرة، ولايخفى أن هذه المسافة هى خط سير القوات البريطانية التى زحفت إلى القاهرة بعد هزيمة التل الكبير فى سبتمبر ١٨٨٢. (٥)

استعان التقرير موضوع الدراسة فى مسألة (إعاقة الدفاع عن القناة) بتقرير كان قد أعده الكابتن روسون Rawson من البحرية الملكية وفيه ذكر أن القناة يمكن أن تغلق، أو تجعل بلا قيمة، أو تصار بوسائل عديدة وأن الأخطار الأساسية للقناة كانت :

أ- بسد المداخل من عند البحر.

ب - قطاع المياه العذبة عن القناة.

جـ- إزالة علامات الإرشاد من المجرى الملاحى.

د- سد القناة بسفن غارقة.

هـ - سد القناة بإغراق وحدات محملة بالحجارة والأسمنت ، الخ .

و - تدمير السفن المارة بواسطة ألغام بحرية .

وانتهى التقرير إلى أن احتلال بعض أجزاء من القناة هو الوسيلة الوحيدة لمنع أى قوة من أن تحدث هذه الأضرار لها .

وكان آخر ما انتهى إليه هذا الفصل عن القناة ، ذلك التقرير عن (البدو) المقيمين بجوار القناة شرقا وغربا . ذكر الفصل أن البدو المقيمين فى شبة جزيرة سيناء ضعيفو الإسلام وبعيدون عن التعصب ويكرهون الأتراك والحزب العسكرى فى مصر (يقصد العرابيين) ويحتقرون الفلاحين . غير أنه فى الإمكان استثارتهم دينيا وتحريضهم ضد الأوروبيين إذا أعلن (الجهاد) أو الحرب المقدسة .

ومع هذا فقد ذكر التقرير أنه من خلال التعامل معهم بصورة جيدة يمكن :

(أ) تحت كل الظروف :

١- إبقاؤهم محايدين فى حالة قيام مصاعب بين الإنجليز وأى آخرين.

٢- ألا يؤذوا القناة الملاحية أو قناة المياه العذبة أو الاشغال الأخرى التى قد يكون من الضرورى حراستها.

٣- أن يوفروا الجمال لأغراض النقل.

(ب) تحت أغلب الظروف :

١- أن يصبحوا الحلفاء النشطين لأى جهة تعرف كيفية التعامل معهم .

٢- أن يوفروا العمالة لإصلاح التلفيات التى قد تتعرض لها القناة الملاحية أو أى أعمال هندسية .

٣- أن يوفروا الدوريات والحراس .

وذكر التقرير أن الظروف التى يمكن أن يصبح البدو فيها حلفاء غير نشطين هى ظروف تحقيق خصوم بريطانيا لنصر دبلوماسى أو غيره عليها، أو التهييج الدينى المدبر جيدا . وأن البدو يراقبون جيدا ما يجرى حولهم ويمكن أن يلقوا بثقلهم وراء أى حزب يتوقع أن يفوز على المدى الطويل .

فبالنسبة للحالة الأولى (أ) (تحت كل الظروف) فإن التعامل مع البدو يجب أن يتم من خلال استغلال صفاتهم الشخصية المتمثلة فى حرصهم على مصالحهم الشخصية وحب الأثرة وجشعهم الشديد. ومن هذا المنطلق فقد كان الواجب تعريفهم بأن الحزب العسكرى فى مصر كان يعاملهم دائما معاملة سيئة، وأنه إذا زاد نفوذ هذا الحزب فإنهم (أى البدو) قد يرغمون على أداء الخدمة العسكرية التى تتعارض تماما مع الصفات الشخصية للبدو المحبين للحرية والبعد عن القيود ، وأن أراضيهم قد تصادر ، ويوضعون فى ظل حالة من الامتهان والإذلال.

وإلى جانب ذلك فقد أشار التقرير إلى ضرورة تقديم الهدايا للبدو بصورة شحيحة فى البداية ، مع وعد بأن مصالحهم لن تُنس لو أن الأمور سارت على ما يرام .

وشدد التقرير على أنه يجب ألا ينسى أن البدو أقوام تميل إلى الاستقلال وأن النظام من أى نوع مكروه كلية لديهم ومضاد لكل أفكارهم ومعتقداتهم .

ورغم أن التقرير كان مسهبا فى شرح أحوال البدو شرقى القناة ، وأن المعلومات التى لدى المخابرات البريطانية عن بدو غرب القناة كانت شحيحة ، فإن النتائج أثبتت فشل مهمة بريطانيا فى شرقى القناة عندما قتل البدو (البروفيسور بالمر فى عام ١٨٨٢)، بينما نجحت هذه المهمة فى غرب القناة عندما اشترى البريطانيون ذمم (عربان الهنادى) واستخدموهم عيونا لهم وجواسيس ، وقادوا القوات البريطانية ليلا إلى مواقع القوات المصرية فى التل الكبير ليلة ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ فكانت نتيجة ذلك هى الهزيمة الماحقة للجيش المصرى فى معركة الدفاع عن البلاد .

ويسجل التقرير موضوع الدراسة نظرة بريطانيا لبدو الجانب الغربى لقناة السويس بقوله (It must be stated, however, that our information regarding the western side is not so trustworthy nor so complete as that with reference to the eastern)(٦)

خصص الفصل السابع من التقرير الذى تعرض له هذه الدراسة للحديث عن السكك الحديدية والبرق .

كان أهم ما يلفت الإنتباه فى هذا الفصل - إذا استبعدنا الوصف التقليدى للسكك الحديدية المصرية ومشروعاتها المستقبلية ، والإدارة الأجنبية لها فى ظل قوانين عام ١٨٧٦ المالية (قومسيون إدارة السكك الحديدية المصرية) - هو تحديد جنسيات سائقى القطارات الذين تبين أن عدد الأجانب منهم أربعة وعشرون نصفهم من الفرنسيين، والنصف الباقى من الإنجليز والألمان والبولنديين ، أما الباقى فقد كانوا من (أولاد العرب) وفق لغة العصر فى ذلك الوقت ، وأنواع الخدمات التى تقدمها القطارات

(بريد - نقل ركاب - نقل خيول - نقل ماشية - قطارات بضاعة) و أقطار العجلات فى القطارات ، المسافات بين قضبان السكك الحديدية وأنواع الفلنكات المستخدمة فى السكك الحديدية المصرية ومواعيد القطارات وتوقيتات السفر للقطارات والسرعات المقررة للقطارات وأنواع القطارات المستخدمة فى مصر وأعدادها ، وأماكن التزود بالمياه على طول خطوط السكك الحديدية المصرية ، والمسافات من المحطات وبعضها فى مصر لتوفير الترفيه للقوات المسافرة .....!!!، وكميات الفحم الموجودة فى مصر لأغراض السكك الحديدية والتى قدرها التقرير من ١٠ - ١٥ ألف طن ، وورش السكك الحديدية، وأنواع عربات السكك الحديدية ، وخدمات البرق والإشارات البرقية واللغات المستخدمة فى البرق المصرى ، عربات نقل الخيول .

فى مجال الحديث عن خدمات الترفيه والعناية بالقوات وحيوانات النقل حذر التقرير - فى إطار حديثه عن السكك الحديدية- من خطورة استخدام مياه الخنادق الآسنة لتسببها فى مرض الدوسنتاريا ، وأشار الى توافر المياه لسقيا الخيول وندرة العليق لها، وأشار إلى أن الخيول الأوروبية لن تستطيع أن تأكل القش المدروس (Indian Bhoosa)، كما أن المراعى قليلة فيما عدا حقول البرسيم الحجازى Lucerne الذى يتوافر فى ٢٠ ديسمبر ويستمر ٤ر٥ شهرا .

كذلك فقد أشار التقرير إلى أنه فى حالة تعطل القطارات المقلة للجنود فإن المسافة من الإسكندرية إلى السويس وقدرها ٢٢٤ ميلا يمكن أن تقطع سيرا فى زمن يتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ ساعة ويمكن أن تزود الجنود فى هذه الرحلة بالخبز المقدد (بسكويت) ومشروب الروم الشديد أو الويسكى المضاف إليه الماء Grog .

وتعرض التقرير للخطوط التلغرافية وأطوالها والرموز المستخدمة فيها واللغات التى يستعملها موظفوها وجنسيات هؤلاء الموظفين .

ومن الواضح أن المعلومات عن السكك الحديدية المصرية والبرق كانت فى غاية الأهمية، وأن بريطانيا قد حصلت على معلومات فى غاية الدقة عن هذا المرفق حتى يتسنى لها نقل جنودها من خلاله أثناء حملة النيل .

وقد استعان التقرير فى جمع المعلومات عن السكك الحديدية المصرية بتقرير المستر كيف Cave عن مالية مصر فـــى عام ١٨٧٦ - وتقرير بعنوان Rapport du Conseil d'Administration sur l'exercice كان يصدر سنويا فى مكتب Journal des pyramides ومقـــره الإسكندرية - والاحصاءات العامة عن التلغـــرافات المصرية لعام ١٨٧٩ (Statitques Generale de la Telegraphie , 1879)

خُصصَ الفصل الثامن من التقرير للحديث عن الجيش والبحرية . فتحدث عن تاريخ الجيش المصرى منذ عهد محمد على (١٨٠٥ - ١٨٤٨) ، ونظام التجنيد ، وتوزيع القوات إلى مشاة وفرسان ومدفعية ودفاع ساحلى ومستحفظين (قوات للشرطة) ، والتنظيم والقوة الفعلية .

وتحدث التقرير عن المؤسسات الفنية بالجيش كمصانع البارود فى طره ، ومصنع الذخيرة خلف القلعة ، ومصنع الأسلحة الصغيرة قرب طره ومسبك المدافع.

وقد كان الفضل فى الحصول على المعلومات الدقيقة عن هذه المؤسسات يرجع إلى أن الشركة التى قامت بتأسيسها كانت هى شركة السير و. أرمسترونج Sir W.Armstrong البريطانية .

وتحدث التقرير عن مصنع الملابس فى القاهرة ومصنع عربات المدافع قرب القاهرة ومخازن الخشب والحبوب والمخبز قرب بولاق .

ولقد بلغ من دقة المعلومات عن الجيش أن بريطانيا كانت تعرف أن ٣٥٠,٠٠٠ أقة من البسكويت كانت مخزنه فى شونة التاسينات Shunat et-Tasenat وشونة المحابس Mahabehs فى بولاق ، وأن المخابز كانت تنتج خمسة آلاف أقة من البسكويت فى اليوم الواحد ، وأن البسكويت الذى كان مخزونا فى المخازن يوم ٢٥ يونيو ١٨٨٢ كان مقدرا أن يكفى ١٣,٠٠٠ رجل لمدة شهرين .

وذكر التقرير قدرة الثكنات الموجودة فى القاهرة على استيعاب ٩٥٠٠ جندى أوروبى موزعين على ثكنات (عابدين) و (قصر النيل) و(العباسية) و(القلعة) .

وفى الحديث عن المدفعية حدد التقرير ما تملكه مصر من المدافع بـ ٤٩٧ مدفع طراز كروب Krupp عيار ٨ر٧ و ٥ر٧ سم مع ذخيرة قدرها ٥٠٠ طلقة لكل مدفع،

٢٠٠ مدفع ثقيل طراز أرمسترونج وزن ٥ر٦ - ٥ر١٨ طن.

١ مدفع كروب عيار ١٤ بوصة.

وفى شأن الأسلحة الصغيرة فقد قدر التقرير ما تحوزه مصر فى يونيو ١٨٨٢ بـ ٠٠٠ر١٣٠ بندقية رمينجنون Remington مع ذخيرة قدرها ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ طلقة، ٠٠٠ر٢٠ انفيلد Enfield مع ذخيرة قدرها ٠٠٠ر٠٠٠ر١ طلقة. وقدر التقرير أن ٠٠٠ر٠٠٠ر١٣ طلقة من هذه الذخيرة من إنتاج مصنع هوكهام Hookham ولودلو Ludlow هى الصالحة فقط للاستعمال ، أما الباقى وهو من إنتاج المصانع المصرية فقد كان غير صالح. وغير خاف أن المصانع الموردة لهذه الأسلحة قد قدمت كل مالديها من معلومات عن التسليح المصرى لبريطانيا .

اعتمد التقرير فى شأن القيمة والكفاءة العسكرية للضباط والجنود المصريين على تقارير للماجور تولوش Tulloch الذى لم يذكر التقرير الجهة التى كان ينتمى إليها ، والكابتن واتسون Watson من المهندسين الملكيين - والمستر ويليام ماك اى داى William Mc E. Dye الضابط السابق بالجيش الأمريكى والكولونيل السابق بهيئة أركان الحرب المصرية ، والكولونيل جوردون Charles Gordon الذى عمل فيما بعد حاكما عاما للسودان وقتل فى يناير ١٨٨٥ عندما كان يدافع عن الخرطوم بصفته حاكما عاما للسودان ضد حصار القوات المهدية الذى استمر من مارس ١٨٨٤ إلى يوم مقتله فى ٢٦ يناير ١٨٨٥(٧) ، سير ج. أوترام Sir J . Outram ، وتقرير لليفتنانت كولونيل لوميسورييه Le Messurier ، والتقارير السنوية للجيش الألمانى عن عام ١٨٧٦، وكتاب فالنتين بيكر باشا V. Baker Pasha بعنوان The War in Bulgaria ، وأقوال المارشال مارمون Marshal Marmont عن الجيش المصرى أثناء حروب الشام (١٨٣٢- ١٨٣٩) ، وتقرير المستر إدوين دى ليون Edwin de Leon القنصل العام

السابق للولايات المتحدة الأمريكية فى مصر ، وكتاب إسماعيلية (Ismailia) للسير صمويل بيكر باشا Sir S. W. Baker.

وقد خلصت التقارير إلى أن عيوب الجيش المصرى كانت تكمن فى عدم كفاءة الضباط ، وسوء التدريب.

جاء الفصل التاسع من التقرير موضوع الدراسة ليغطى التحصينات المصرية .

ومن المؤسف أن دفاعات الإسكندرية كلها كانت مصممة فى باريس بمعرفة المارشال سوولت Marshal Soult وتم تنفيذها كلها تحت إشراف المهندسين الفرنسيين.

ومن المؤكد أن هذه الخطط قد سلمت جميعها لبريطانيا ، فشرح الدفاعات المصرية تجاه الغرب لمقاومة أى تقدم من اتجاه مرابوط Marabut (العجمى)، وللسيطرة على الميناء الغربى بواسطة طوابى (العجمى - السلامية - خطوط المكس - الأعمال بين خطوط المكس والمحمودية - قلعة الجسورة - قلعة القمرية - قلعة أم كبيبة - بطاريات الساحل بين المكس والقلاع السابق الإشارة إليها - قلعة صالح) - أقول إن شرح هذه الدفاعات بالتفاصيل الدقيقة التى تضمنها من حيث إعداد المدافع وأماكن مخازن الذخيرة وأقطار المدافع وعدد فتحات إطلاق النيران والخنادق المحفورة وما إلى ذلك يكشف بكل جلاء أن رسومات الخطط الدفاعية ورسومات البناء والتسليح والهندسة قد سلمت كاملة لبريطانيا .

وينسحب نفس القول على خطط الدفاع عن الميناء الشرقى والجبهة الشمالية وبحيرة مريوط وشرقى رشيد ودفاعات أبو قير وبوغاز رشيد وبوغاز دمياط ودفاعات غرب بور سعيد وتحصينات القناطر الخيرية. وقد استعان التقرير موضوع الدراسة بتقارير للسير أوترام والكابتن كولنسون Collinson ،والكابتن باربازون Barbazon ، وبعض ملاحظات للكولونيل هاريسون Harrison والماجورتولوش Tulloch اللذين كانا يتجسسان على الدفاعات المصرية ويكتبان للمخابرات البريطانية . بل إن التقرير اعتمد على معلومات أحد رجال الدين المسمى (بادجر) Rev.Mr.Badger فى شأن

التحصينات الساحلية المصرية وخاصة تحصينات القناطر الخيرية . فقد ذكر (بادجر) أن دفاعات القناطر الخيرية فى عام ١٨٦٢ كانت تشمل ٢٥٦ مدفعا و ٧١ مورتار على الحصن الرئيسى للقناطر، إلى جانب ٩٨ مدفعا و ١٢ مورتار فى موقع آخر ، وخمسين مدفعا فى موقع ثالث ليبلغ مجموع المدافع ٤٠٤ والمورتار ٨٣.

وذكر التقرير تحصينات قلعة القاهرة فقال إن الجانب الغربى الذى يطل على المدينة كان يضم بطارية من ٢١ مدفعا خلف متراس من الحجر سمكه ما بين ٣-٤ أقدام ، وأن الماء يصل إلى القلعة بواسطة طلمبات ضخ قرب قناة الإسماعيلية (الترعة الإسماعيلى)، وأن التسليح فى يونيو ١٨٨٢ كان يشمل ٤٢ مدفعا وعدداً من القذائف اللازمة لهذه المدافع يبلغ ٢١٫٠٠٠ طلقة .

وفى مجال الدفاع عن القاهرة ذكر التقرير أن مدفعاً من عيار ١٤ بوصة طراز كروب Krupp وآخر وزنه ١٨ - ٢٥ طن من طراز أرمسترونج Armstrong كانا فى العباسية ، وكان فوق تلال المقطم ستة مدافع من نفس طراز المدافع المركبة فى القلعة ومعها ٥٠٠ قذيفة .

وكان البريطانيون يعرفون فى ذلك الوقت أماكن المياه التى تزود القلعة بماء الشرب، ومخازن الحبوب، والدقيق، والثيران ، والخراف، والخيول والعليق المخزنة وراء جدران قلعة القاهرة.

وذكر التقرير أن المعسكرات يمكن أن تأوى ١٠٫٠٠٠ رجل فى حالة الطوارئ وآلاف المواضع لإطلاق بنادق الرمنجتون Remington ، وأن مخزنا للبارود يقع فوق المكان الذى جرت فيه مذبحة القلعة عام ١٨١١.

ومن الواضح أن خطط الدفاع عن مصر بصفة عامة والقاهرة بصفة خاصة كانت فى يد البريطانيين قبل معارك ١٨٨٢ ، فالتفاصيل شديدة الدقة عن كل معلومة فى هذا الشأن واردة فى هذا التقرير السرى.

أما الفصلان العاشر والأخير من التقرير فقد تناولا الطرق المصرية وحالة الأرض فيها وصلاحية الطرق لسير المدافع عليها ، وأماكن الاستراحة ، وتوافر مياه الشرب ، والعليق للخيول ، ومواسم العمليات العسكرية فى مصر السفلى (نهاية فبراير إلى نهاية يوليو) وتأثير الفيضان على الطرق فى الوجهين القبلى والبحرى .

يلفت النظر فى التقرير عن الطريق من السويس إلى القاهرة، الإشارة إلى أنه كان أحد الطرق المقترحة للفرقة العاشرة فرسان Iorhussars فى عام ١٨٥٥، كذلك فإن الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية عن طريق الضفة اليسرى لفرع رشيد كان مقترحا للفرقة العاشرة فرسان أيضا فى ذلك العام .

وفى الملاحظات عن هذا الطريق اقترح الكابتن جيل Gill فى ١٤ مارس ١٨٥٥ مايلى (فيما يتعلق بسير فرقة الفرسان العاشرة من القاهرة فإننى أجد أنه من الأصوب تعديل عبور النيل عند بولاق ، والقنطرة فوق فرع رشيد أصبحت كاملة الآن ومتصلة بكل من الشاطئين . وستسير الفرسان على طول الضفة اليمنى للنيل حتى تعبر القنطرة الفرعين الخ) - قسم التقرير عن ذلك الطريق محطات التوقف إلى (القاهرة - القناطر - جلتا أو جتلا - بنى سلامة - مشلا- كفر بولين - جارس - دمنهور - كفر الدوار - الإسكندرية).

وقد اقترح طريقان آخران للفرقة العاشرة فرسان (من القاهرة إلى الإسكندرية). فأما الأول فقد اقترحه الكولونيل كامبل (Colonel Campbell) الكوارتر ماستر - جنرال (مدير لوازم الجيش) وكان كالآتى : من القاهرة على جسر السكة الحديد على الضفة اليمنى حتى (بنها العسل)، حيث يتم عبور فرع دمياط ، ثم السير على جسر السكة الحديد حتى (بركة السبع) على الضفة اليسرى لترعة (شبين) . ثم إلى (طنطا وكفر الزيات) على الضفة اليمنى لفرع رشيد ثم العبور هناك بواسطة السكة الحديد عند دمنهور إلى الإسكندرية . وميزة هذا الطريق فى نظر صاحبه أنه كاف اتساعا حتى كفر الزيات لثمانية خيول جنبا إلى جنب abreast أما المضار فكانت وجود ثلاث حالات

عبور للنيل (٤٠٠ ياردة عند فرع دمياط) (٨٠ ياردة عند بحر شبين) (٥٥٠ ياردة عند فرع رشيد) وأن كل أراض المعسكرات مبتلة للغاية .

وأما الاقتراح الثانى وكان صاحبه - للعجب - هو (سليمان باشا) الفرنساوى قائد القوات المصرية . فكان هو السير على الضفة اليمنى للنيل حتى القناطر ، ثم عبور فرع دمياط واتباع الضفة اليمنى لفرع رشيد حتى بداية ترعة الخطاطبة على بعد ميلين من (بنى سلامة) وعبور فرع رشيد هناك والتقدم نحو دمنهور [٨].

وفى التقرير إشارة إلى أن الثكنات التى وضعت تحت تصرف الفرقة العاشرة فرسان فى القاهرة كانت ثكنات المدفعية القادرة على استيعاب ٤٥٠ رجل وحصان ، وثكنات الفرسان القادرة على استيعاب ٤٠٠ رجل وحصان ، كذلك فإن فى التقرير إشارة إلى أن الفرقة العاشرة فرسان والثانية عشرة رماح١٢ قد سارتا إلى القاهرة من السويس عبر هذا الطريق بكل سهولة

the 10 Hussars and 12 th lancers appear to have marched to Cairo by the foregoing route with great ease[٩]

ويفهم من هذه الإشارات أن فرقتين من الجيش البريطانى the 10 Hussars and 12 th Lancers جاءتا إلى مصر فى عام ١٨٥٥ وسارتا فى طريق السويس - القاهرة فيما كان يسمى بالطريق الهندى القديم Old Indian Transit Route والذى كان ينقسم إلى ١٥ محطة .

هل يفهم من ذلك أن بريطانيا قد أنزلت فرقتين عسكريتين فى السويس تمهيدا للزحف نحو القاهرة عام ١٨٥٥ ؟

ما معنى الإشارة إلى الفرقة العاشرة فرسان والفرقة الثانية عشر حملة الرماح فى طريق السويس - القاهرة ، ثم القاهرة - الإسكندرية؟.

إن الطريق بين السويس – القاهرة كان يتضمن السير من السويس إلى قلعة عجرود ثم السير فى الصحراء إلى القاهرة موضوعا فى الاعتبار عدم وجود المياه الذى أشار إليه التقرير ، فهل لم تشعر مصر فى ذلك الوقت بتلك المحاولة ؟.

كذلك فإن التقرير لا يشير إلى ظروف عودة القوة إلى بلادها .

ومع هذا فإن التقرير أشار إلى الطريق من السويس إلى القاهرة الذى يبدأ من السويس إلى الشلوفة – جنيفة – فايد – سرابيوم – نفيشه – المحسمة – التل الكبير – بلبيس – الخانكة –القاهرة. (١٠)

ومن المعلوم أن هذا الطريق هو الذى اتخذته القوات البريطانية للوصول إلى القاهرة فى عام ١٨٨٢ ، بعد أن جعل شق قناة السويس ، وحفر ترعة المياه العذبة إمكانية استخدامه أمرا سهلا .

ولقد كان الوصول إلى بلبيس يعنى السيطرة على محطة السكة الحديدية لخط الزقازيق – القاهرة ومن ثم الوصول إلى العاصمة بسهولة .

ويكشف جدول الطرق المرفق بالتقرير أن الطرق من السويس إلى القاهرة كانت تتراوح أطوالها ما بين ٨٤ كم (درب الحمراء ودرب الترابين) و ١٠١ كم (درب الواد) و ٨٦ كم (درب الأنجربيه) و ١٣١ كم (نفيشه) ، إلا أن القوات البريطانية اختارت طريق (نفيشه) السابق الإشارة اليه لتوفر المياه العذبة والتى كانت تسبب مشكلة فى استخدام الطرق الأخرى ، وهى صحراوية كما هو واضح .

وقد استعان التقرير فى التعرف على طرق مصر بأعمال : موراى Murray المسمى Handbook of Egypt المطبوع فى لندن عام ١٨٨٠ وسيرة دافيد بيرد Sir David Baird الذى ألفه ت . هوك T. Hook بعنوان Life of Sir D. Baird ، والجنرال برتراند Bertrand بعنوان Campagnes d'Egypte et de Syrie, 1798- 99 الصادر فى باريس عام ١٨٤٧ ، ولينان دى بلفـــون بك Linant De Belle Fonds Bey بعنوان

Memoire sur les Principaux Travaux d'Utilite Publique Executés en Egypte depuis la plus Haute Antiquité Jusqu á nos Jours المطبوع فى ثمانية مجلـــدات فى باريس عام ١٨٧٢ - ١٨٧٣ . ومن المعروف أن (لينان) هذا هو المهندس الذى نفذ مشروع القناطر الخيرية ، وبيديكر K. Baedeker بعنوان Egypt, Handbook for Travellers المطبوع فى ليبزج Leipzic عام ١٨٧٨ .

كذلك فقد استعان التقرير بتقارير وأعمال عدد من ضباط البحرية البريطانية والمهندسين الذين أجروا مسوحات لمصر خلال فترات عملهم بها كجواسيس متخفين فى شكل سياح أمثال اللفتنات كولونيل ج أوترام Outram, J. واللفتنانت كولونيل جى .ب لوميسورييز G.P. Le Messurier اللذان وضعا كتابا أسمياه : Memoir on the Topography, Fortifications, Military Resources of Egypt.Confidential فى ثمانية أجزاء وتم طبعه فى كلكتا Calcutta بالهند عام ١٨٧٦.

ومن بين من استعان بهم التقرير فى معرفة الطرق المصرية مشايخ العربان فى مصر أمثال الشيخ سليمان مبارك شيخ قبيلة المعازة والمسئول عن حراسة طريق القصير - قنا، والذى أعطى معلوماته عن طريق (القصير - السويس) للفتنانت كولونيل لوميسورييز السابق الإشارة إليه. (١١)

وتجدر الإشارة إلى أن سليمان باشا الفرنساوى قائد جيش محمد على ومؤسس الجيش المصرى الحديث قد أعطى بريطانيا مقترحات بشأن طريق القاهرة - الإسكندرية كما أوضحنا فى السطور السابقة ، وهو مايعطى أكثر من علامة استفهام حول حياة هذا الرجل فى مصر والحاجة إلى إعادة دراسته .

ويبلغ مجموع الأعمال التى اعتمد عليها التقرير الذى تقدم ٢٢ عملا للتاريخ والسياسة ، و ٧٧ عملا فى الجغرافيا والرحلات ، و ٣٩ عملا فى الحملات العسكرية ، و١٦ عملا فى الإحصاءات والأعمال العامة ، وسبعة أعمال فى الفيلولوجيا (فقه اللغة)

فإذا أضفنا الى ذلك ، المعلومات التى قدمها:

- ضباط الجيش الأمريكيين الذين خدموا فى الجيش المصرى أثناء حكم إسماعيل،

- القساوسة ورجال الدين الأجانب أمثال (بادجر) الذى قدم معلومات عن التحصينات الساحلية المصرية وتحصينات القناطر الخيرية،

- كبار الضباط الأجانب الذين صمموا خطط الدفاع والتحصينات للبلاد فى الإسكندرية والقاهرة وغيرها،

- المصانع والشركات الأجنبية التى أقامت المصانع العسكرية لصناعة البارود وصب المدافع ومد خطوط البرق وإقامة شبكات الطرق،

- موظفو الحكومة المصرية من الأجانب المشتغلين فى الأعمال ذات الصلة بالمسائل الحربية كموظفى البرق،

- عربان قبيلة المعازة جواسيس بريطانيا عن طرق المواصلات الصحراوية فى مصر،

- كبار ضباط الجيش الفرنسيين الذين استعانت بهم مصر فى إنشاء وقيادة جيشها وتصميم خطط الدفاع والاستحكام أمثال سليمان باشا الفرنساوى Colonel Seve والمارشال سوولت الفرنسى خبير الدفاعات .

وإذا أضفنا إلى ذلك أيضا أعمال الجاسوسية التى قام بها ضباط المخابرات البريطانية ورجالها من الخبراء فى كل المجالات وما أنتجوه من أعمال تتصل مباشرة بالخطط الحربية ضد مصر مثل كتاب (أوترام ولو ميسور بير) الذى شرح طبوغرافية وتحصينات وموارد مصر الحربية، وكتاب الكابتن ريتشارد من البحرية الملكية واللفتنانت كولونيل كلارك من المهندسين الملكيين بعنوان Report on the Maritime Canal Connecting the Red Sea at Suez with the Mediterranean at Port Said والصادر فى لندن عام ١٨٧٠.

إذا جمعنا كل هذه الأعمال الواردة فى التقرير الذى نقدمه فى هذه الدراسة Report on Egypt فإننا نستطيع أن نفهم كيف أدارت بريطانيا حملتها على مصر فى

عام ١٨٨٢ ، وكيف دبرت وخططت لها ، وكيف استفادت من أعمال المخابرات الحربية فى تأمين حملتها بحيث لم تترك شيئا للصدف أو الظروف . فقد وفرت المعلومات الوفيرة التى يتضمنها هذا التقرير السرى كل ما يحتاجه جيش قادم من قارة أخرى ليغزو بلدا فى قارة ثانية .

ولقد نجحت بريطانيا فى حملتها على مصر نجاحا مدويا ضمن لها البقاء فى البلاد سنوات طوال بفضل خطة محكمة التدبير اعتمدت على العقل والمعلومات Intelligence أكثر من البندقية والمدافع ، فاستحقت أن تفوز فى تدبيرها بجدارة . وهذا الدرس الذى لم تتعلمه مصر بعد.

الهوامش

(١) W.O Records - General - P.R.O.

عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٣٧٤

(٢) W.O. Records - General - Op.Cit.

(٣) Ibid.

حفز الإهتمام الألمانى بالشرق Drang Nach Osten الاهتمام البريطانى بالشرق وجمع المعلومات عنه . وكان ذلك التقرير الشهير(A Military Report on Syria)

(٤) Report on Egypt - Compiled in the Intelligence Branch, Quarter Master - General's dept. Horse Guards, War Office - London. printed for Her Majesty's Stationery Office, by Harrison & Sons - printed in ordinary to Her Majesty, 1882, p . 36 .

(٥) عبد الرحمن الرافعى - المصدر السابق ، ص ص ٤٥١ - ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥، ٤٩٦

(٦) Report on Egypt, Op. Cit., p. 218

(٧) Lexicon Universal Encyclopedia - Lexicon Publications - N.Y., 1983, P.24

(٨) Report on Egypt - PP. 360 -363 , 440

(٩) Ibid., P 363

(١٠) Ibid., p p. 375 - 377

(١١) Ibid., p. 389

المصادر والمراجع

-(Confidental) - Report on Egypt - Compiled in the Intelligence Branch, Quarter Master - General's Department, Horse Guards, War Office - London - printed for Her Majesty's Stationary Office, By Harrison & Sons - Printed on ordinary to Her Majesty. 1882 .

- W.O Records - P.R.O- General.

- Lexicon Universal Encyclopedia - Lexicon Publications , N.Y.,1983.

- عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٣٦.